المجلد التاسع والعشرون للعام ٢٠٢٥م
حولية كلية اللغة العربية بجرجا

من "دون كيشوت" إلى "رحلة السيد أبو العلا البشري .."
دراسة في تحويل النص الروائي إلى أدب الدراما التليفزيونية

From "Don Quixote" to "The Journey of Sayyid Abu al-Ela al-Bishri". A study in transforming the narrative text into television drama literature

بقلم الدكتور

أحمد عادل حسن علي عمار

قسم الأدب العربي الحديث ـ قسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار يونيه ٢٠٢٥م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٥/٦٩٤٠م

من "دون كيشوت" إلى "رحلة السيد أبو العلا البشري"..
دراسة في تحويل النص الروائي إلى أدب الدراما التليفزيونية

أحمد عادل حسن علي عمار

قسم الأدب العربي الحديث ـ قسم اللغة العربية - كلية الآداب – جامعة القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : abohanenammar@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث عملية تحويل رواية "دون كيشوت" إلى المسلسل التليفزيوني "رحلة السيد أبو العلا البشري"، بوصفها مثالاً على انتقال العمل الأدبي من نص روائي إلى نص درامي تليفزيوني. ويسلط الضوء على الكيفية التي تم بها تكييف الشخصيات، والحبكة، والسياق الاجتماعي، مع الحفاظ على جوهر الفكرة الأصلية المتمثلة في سعي البطل المثالي إلى التغيير في واقع لا يعترف بالمثاليات.

كما يناقش البحث الفروقات بين السرد الروائي والسرد الدرامي، ودور الفلاش باك والحوار الداخلي في بناء البطل على الشاشة. ويولي اهتمامًا خاصًا للأغاني التي كتبها عبد الرحمن الأبنودي ولحنها عمار الشريعي، بوصفها عنصرًا مكملًا للدراما، يساعد في نقل الأحاسيس والتعليق على الأحداث، وإيصال الرسالة الفكرية والوجدانية للمسلسل.

ويخلص البحث إلى أن التحويل لم يكن مجرد اقتباس، بل إعادة إنتاج ثقافية تعكس قدرة الأدب الكلاسيكي على الحياة في سياقات اجتماعية جديدة، وتجسيد مشروع أسامة أنور عكاشة في تأسيس أدب الدراما التليفزيونية.

الكلمات المفتاحية: دون كيشوت،رحلة السيد أبو العلا البشري، تحويل النص الروائي ، أدب الدراما التليفزيونية.

From "Don Quixote" to "The Journey of Sayyid Abu al-Ela al-Bishri."
A study in transforming the narrative text into television drama literature

Ahmed Adel Hassan Ali Ammar
Department of Modern Arabic Literature, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Cairo University, Arab Republic of Egypt
Email: abohanenammar@gmail.com

Abstract

This research examines the process of adapting the novel Don Quixote into the television series Rihlat Al-Sayyid Abu Al-Ala Al-Bishri, as an example of the transition from a narrative novel to a dramatic television script. It highlights how the characters, plot, and social context were adapted while preserving the core idea of the original work: the quest of the idealistic hero to bring about change in a reality that does not recognize idealism.

The study also discusses the differences between narrative prose and dramatic storytelling, focusing on the role of flashbacks and internal dialogue in shaping the hero on screen. Special attention is given to the songs written by Abdel Rahman El-Abnudi and composed by Ammar Al-Shreihy, which serve as a complementary element to the drama, helping to convey emotions, comment on events, and deliver the intellectual and emotional message of the series.

The research concludes that the adaptation was not merely a simple excerpt, but a cultural reimagining that reflects the ability of classical literature to thrive in new social contexts, embodying Osama Anwar Okasha's project of establishing the literature of television drama.

Keywords: Don Quixote, The Journey of Mr. Aboulela Al-Bishri, Transforming the Narrative Text, Television Drama Literature.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كانت العلاقة بين الأدب العالمي والدراما التليفزيونية دائمًا موضوعًا مثيرًا للدراسة، إذ تتلاقى الفنون الأدبية والدرامية عند نقطة التعبير عن القضايا الإنسانية الكبرى، لكن بأساليب سردية وأدوات فنية مختلفة. وعندما يتم تحويل نص أدبي عالمي إلى عمل درامي، لا يكون الهدف مجرد إعادة سرد للأحداث أو نقل للشخصيات، بل يتضمن ذلك عادة تكييفًا ثقافيًا وفنيًا يعكس السياق الاجتماعي والزماني الذي يُعرض فيه العمل.

من هنا تبرز أهمية دراسة آليات تحويل النصوص الروائية عند انتقالها إلى نصوص درامية تليفزيونية، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بنصوص عالمية ذات تأثير عميق، مثل رواية دون كيشوت. هذه الرواية التي كتبها ميغيل دي ثيربانتس في مطلع القرن السابع عشر تمثل واحدة من أعظم الأعمال الأدبية التي تناولت الصراع بين الحلم والواقع، والمثالية ومحدودية العالم. وقد ألهمت الرواية أعمالًا فنية متعددة عبر العصور، من بينها الدراما التليفزيونية، حيث نجد حضورها واضحًا، ليس فقط عبر موضوعاتها، بل أحيانًا عبر استلهام شخصياتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

في هذا السياق، يأتي مسلسل رحلة السيد أبو العلا البشري للكاتب أسامة أنور عكاشة والمخرج محمد فاضل، بوصفه نموذجًا مميزًا لاستلهام روح دون كيشوت وإعادة إنتاجها ضمن السياق الاجتماعي المصري في الثمانينيات. يجسد المسلسل شخصية المثقف المثالي الذي يصطدم بالواقع الاجتماعي المتغير، في رحلة صراع بين المثل والواقع تشبه إلى حد بعيد رحلة الفارس الحالم.

ولا يسعى هذا البحث إلى الوقوف عند حدود المقارنة بين الرواية والمسلسل أو إثبات التأثير والتأثر بين النصوص، فهذه مسائل معلومة بالضرورة. وإنما ينصب اهتمامه الأساسي على الكشف عن آليات تحويل النص الروائي إلى نص

درامي تليفزيوني، ورصد التحويلات التي تصيب البنية السردية، وتطور الشخصيات، وتغير السياقات، خلال هذه العملية المعقدة من التكييف الفني والثقافي.

وتنطلق الدراسة من رؤية مؤداها أن النص الدرامي التليفزيوني نص أدبي مستقل، له خصائصه البنيوية والسردية، وقادر على التعبير عن قضايا إنسانية كبرى بوسائط مختلفة. ومن خلال تحليل عناصر التحويل الدرامي، نسعى إلى تفكيك الكيفية التي تم بها استحضار جوهر النص الأدبي العالمي، وتكييفه مع متطلبات السياق الثقافي والاجتماعي المحلي.

بذلك، فإن الدراسة لا تكتفي برصد أوجه الشبه والاختلاف بين العملين، بل تحلل عملية التحويل ذاتها، بما تتيحه من فرص لإعادة صياغة الأفكار والمثُل الكبرى داخل أشكال تعبيرية جديدة تناسب الوسيط التليفزيوني والجمهور المعاصر. الغرض الأساسي –إذن– هو إبراز كيفيات التحويل الإبداعي الذي ينقل العمل من فضاء الرواية إلى فضاء أدب الدراما التليفزيونية، مع المحافظة على الجوهر الإنساني للفكرة الأصلية.

(١)

السياق العام للعملين

الأدب والفن هما انعكاسان حيويان للواقع الاجتماعي والثقافي الذي نشأ فيهما. فمن خلال العمل الأدبي أو الدرامي، يعبر المؤلف عن رؤيته للعالم والظروف التي تحيط به. وعليه، لا يمكن دراسة أي نص دون النظر في السياق التاريخي والاجتماعي الذي أفرز هذا النص، فهذا السياق يساعدنا في فهم أعمق لأبعاد العمل ورؤاه. بناء على ذلك سنتناول السياقات الثقافية والتاريخية التي أنشأت كلا من رواية دون كيشوت ومسلسل رحلة السيد أبو العلا البشري، مع تسليط الضوء على رؤية المؤلفين وكيف أثرت هذه الرؤى على بناء العملين وعلى تطور شخصياتهما الرئيسة.

صدرت رواية دون كيشوت على جزأين في عامي ١٦٠٥ و١٦١٥، في مرحلة حرجة من التاريخ الإسباني، حيث شهدت البلاد تحولًا اجتماعيًا واقتصاديًا عميقًا. بينما كان العصر الذهبي الإسباني يشهد ازدهارًا في الأدب والفن، فإنه كان أيضًا عصرًا مليئًا بالتحديات الاقتصادية والاضطرابات السياسية.

كان القرن السابع عشر في إسبانيا فترة تعيش فيها المؤسسات الاجتماعية الكبرى حالة من التراجع والانحلال، وأبرزها فروسية الفرسان، التي كانت تمثل أحد أهم عناصر الطبقات الاجتماعية النبيلة في تلك الحقبة. مع تراجع أهمية هذه الفئة الاجتماعية، أصبح الفرسان الجوالون الذين يقدسون القيم المثالية للفروسية جزءًا من الماضي، فكان لذلك تأثير كبير على مفهوم البطولة والفروسية في المجتمع الإسباني. وفي قلب هذا التحول التاريخي، جاءت دون كيشوت لتسخر من مفهوم الفروسية التقليدي وتوضح كيف تآكلت قيم هذا النظام القديم، بينما تبين أيضًا كيفية أن المثالية، على الرغم من كونها مثيرة للسخرية، تحمل جمالًا خاصًا، إذ يبقى الإنسان قادرًا على السعي وراء الأهداف السامية مهما بدا ذلك مستحيلًا.

وتزامن ظهور الرواية مع صعود الإمبراطورية الإسبانية في القرن السابع عشر، وهيمنة إسبانيا على معظم أوربا. ولكن، كان هناك أيضًا العديد من الأزمات الاقتصادية والداخلية التي جعلت المجتمع الإسباني في حالة اضطراب. "وإذا ما عرفنا عصر سرفانتس؛ العصر الذي اشتهر بسطوة رجال الدين، ومحكام التفتيش، والأخوة المقدسة، والمحاكمات غير العادلة، واستصدار القرارات بالسجن والعقوبات الظالمة، بكل الوسائل والسبل، وإذا ما عرفنا عهد فيليب الثاني، وما كان في عصره، من فساد الأخلاق والإدارة، وانتشار السرقة، والقتل، والنهب، والظغيان، أدركنا السر في إصرار سرفانتس في إبداعه على هذا (الدون كيشوت) الذي أراده أن يكون مرآة عصره"(١). في ظل هذه الأوضاع، تطرح الرواية تساؤلات عميقة حول القيم التي هيمنت على هذا المجتمع وضرورة مواجهة الإنسان لتحدياته في عالم يعاني من التناقضات والظلم. من خلال شخصية دون كيشوت، نجد أن المؤلف يعكس محاولات الإنسان الفاشلة لتحقيق المثالية في عالم قاسٍ وغير مستجيب لآماله.

واعتمد ميغيل دي ثيربانتس في دون كيشوت أسلوبًا مميزًا يمزج بين السخرية والجدية. "دون كيشوت وسانخو بانزا! فارس مانخا النحيف وخادمه الشره البدين لا يزالان راكبين جواديهما، مدى القرون متحصنين بخلودهما. الأول على حصانه الأمجف ينازل الطواحين ويتحدى السحرة بينا الثاني يحلم بالذهب والحاكمية وهو ممتط حماره. إنهما يحملاننا على الضحك وعلى الحزن لأنهما لا يفوزان إلا بصنوف التعذيب والضرب من عالم لا مبال وغير مدرك أو قاسٍ"(٢). كان ثيربانتس يدرك أن تقديم بطل مثالي (دون كيشوت) في مجتمع متدهور هو نوع من السخرية، لكن هذه السخرية كانت تهدف إلى كشف تناقضات المجتمع

(١) مالك قصور. مقال: بحثًا عن الحرية (دون كيشوت أنموذجًا). مجلة الموقف الأدبي. عدد ١ إبريل ٢٠١٢.

(٢) ليستر كروكر. مقال: دون كيشوت: سرفانتس. ترجمة: يوسف عبد المسيح ثروة. مجلة الأديب. عدد ١ مارس ١٩٦٣.

وتسليط الضوء على عجز الإنسان عن تحقيق مثاليته في عالم مليء بالواقع المادي. "يعد عنصر السخرية واحدًا من أهم الجوانب التي جعلت (دون كيشوت) عملا متميزًا فريدًا، وقد لاقت الطريقة التي استخدمها (سرفانتس) لإشاعة المرح والضحك البريء من ناحية، ومحاولة إصلاح المجتمع من ناحية أخرى، استحساناً كبيرًا من مفكري ذلك العصر.. استحساناً حدا بالروائيين منهم أن يحاولوا تقليد هذا العمل بطريقة أو بأخرى، وإحداث تغيير في مجتمعهم يماثل ما أحدثه (سرفانتس) في بلاده"[١]. وتبرز الرواية من خلال هذا المزج بين الهزل والجد رسالة فلسفية عميقة حول قيمة المثالية في مواجهة تحديات الواقع، كما يظهر فيها الاهتمام بالخيال والبحث المستمر عن العدالة.

من ناحية أخرى تعد فترة الثمانينيات من القرن العشرين فترة حرجة في تاريخ مصر، حيث كان المجتمع المصري يعاني من تحولات اقتصادية واجتماعية جذرية. من أبرز هذه التحولات كان الانفتاح الاقتصادي الذي بدأ في السبعينيات، وما تبعه من تأثيرات عميقة على الطبقات الاجتماعية في مصر. ولكن هذا لم يكن فقط هو الدافع لظهور هذا العمل (رحلة السيد أبو العلا البشري)، بل إن الحقيقة أن هذا العمل كان بالأساس فكرة مخرجه محمد فاضل.. "بحكم علاقة الصداقة القوية التي جمعت بين المخرج الكبير محمد فاضل والكاتب الكبير الراحل أسامة أنور عكاشة، كانت تجمعهما جلسات كثيرة، يتحدثان ويتناقشان ويتبادلان الأفكار، وفي إحدى المرات أبدى فاضل اهتمامه بالرواية، وبالإنسان المثالي الذي يلعب بطولتها، استهوته فكرة المحارب ذي السيف الخشبي الذي يحارب طواحين الهواء ظنًّا منه أنها الأعداء، ومثلما أبدى فاضل اهتمامه، أبدى أسامة اهتمامًا مماثلًا بالرواية، لكن حتى هذه اللحظات لم يكن الأمر يخرج عن إطار «الفكرة»"[٢].

---

(١) علي القيم. مقال: دون كيشوت ما زال يعيش بيننا. مجلة المعرفة. عدد ١ مايو ٢٠٠٥.

(٢) محمد مسعود. أساطير الدراما: أسرار وكواليس أشهر المسلسلات المصرية. ج ٢. دار نشر ريشة للنشر والتوزيع. تسخة إلكترونية. تطبيق أبجد.

في فترة ما بعد الانفتاح الاقتصادي، تأثر المجتمع المصري بشكل ملحوظ بالقيم المادية التي أصبحت طاغية على القيم الإنسانية التقليدية. ظهور طبقات جديدة من الأثرياء والمستفيدين من السياسات الاقتصادية الجديدة أدى إلى تراجع دور الطبقات المتوسطة والمثقفة في المجتمع، كما ظهرت فجوة واسعة بين الطبقات الاجتماعية. في هذا السياق، نجد أن "رحلة السيد أبو العلا البشري" يقدم شخصيته الرئيسة، السيد أبو العلا، بوصفه رمزًا للمثقف التقليدي الذي يسعى جاهدًا للمحافظة على القيم النبيلة في مواجهة المادية والفساد الذي انتشر في المجتمع.

وكان أسامة أنور عكاشة، بوصفه كاتبًا ومؤلفًا دراميًا، دائمًا حساسًا لنبض المجتمع المصري. كان عكاشة يعتقد أن الدراما التليفزيونية ليست مجرد وسيلة للترفيه، بل أداة تحليلية تُسهم في فهم الواقع الاجتماعي وإعادة تشكيله. ومن خلال شخصية السيد أبو العلا، يقدم عكاشة مثقفًا يعاني من صراع داخلي بين المثالية التي يحملها والواقع المتغير من حوله. يتجسد في هذه الشخصية التوتر بين القيم القديمة التي تُمثل الانتماء إلى الماضي واللحظة الراهنة التي تعكس انحرافات اجتماعية ومادية.

كان رحلة السيد أبو العلا البشري من الأعمال الدرامية التي أثرت بشكل كبير على الوعي الاجتماعي المصري. فقد كانت القصة تجسيدًا للصراع بين القيم التقليدية والتغيرات الاجتماعية، وناقشت كيف يمكن للمثقف أن يحافظ على قيمه النبيلة في زمن أصبح فيه المال والمصالح الشخصية الموجهة للمكاسب الفردية هي القيم الطاغية. تم تقديم هذا الصراع في سياق اجتماعي معقد، حيث يعكس المسلسل التغيرات السياسية والاقتصادية التي كانت تمر بها مصر في تلك الفترة.

نستطيع أن نقول إن ثيربانتس كان شاهدًا على عصره، وقد عكس إحباطاته وآماله من خلال شخصية دون كيشوت التي تجسد البطل المثالي الذي يسعى لتحقيق أهداف غير قابلة للتحقيق. كان دون كيشوت رمزًا للرغبة في تصحيح ما يبدو غير قابل للتصحيح، وهو تجسيد لحلم الإنسان في التغيير، مهما كانت التحديات التي

يواجهها. تسعى الرواية، من خلال السخرية، إلى نقد المجتمع الإسباني التقليدي الذي لا يعترف بهذه القيم المثالية.

من ناحية أخرى كان أسامة أنور عكاشة مهتمًا بتقديم النقد الاجتماعي من خلال أعماله، وكانت رحلة السيد أبو العلا البشري محاولة لتسليط الضوء على الصراع بين المثالية والقيم المادية في المجتمع المصري. شخصية السيد أبو العلا تمثل المثقف الذي يبحث عن العدالة والتغيير في وقت يعاني فيه المجتمع من تدهور القيم الاجتماعية. عكاشة لم يقدم مسلسله فقط بوصفه عملًا فنيًا، بل بوصفه وسيلة لإعادة تشكيل الواقع وفهم التحولات التي مر بها المجتمع. كان العمل في صياغته بعيدًا عن "دون كيشوت" ولكن الفكرة الرئيسة فيه كانت مستوحاة من ذلك العمل الكبير.. يقول المخرج محمد فاضل: "كنت... في اليونان أقوم بعملية المونتاج لمسلسل (ليلة القبض على فاطمة)، وجاء أسامة من مصر إلى اليونان، وقضى معي نحو أسبوع، كنا في النهار نعمل؛ أنا في المونتاج وهو في الكتابة، ونجلس معًا بعد العمل لنقرأ ما كتبه، في المسلسل الذي اختار له اسم (رحلة السيد أبو العلا البشري)، والحقيقة أن أسامة صاغ الحلقات بحرفية شديدة، ورغم ابتعاد الأحداث تمامًا عن الرواية الأصلية فإننا قررنا وفقًا لأمانتنا المهنية أن نشير إلى أنها مستوحاة من رواية ميغيل دي ثيربانتس، ووضعنا في تتر المسلسل صورًا من غلاف الرواية، بعد تفريغه"(١).

لقد نشأ العملان في فترات تاريخية مليئة بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي أثرت على القيم السائدة في كل من إسبانيا في القرن السابع عشر ومصر في القرن العشرين. في دون كيشوت نجد تراجع الفروسية والنبلاء في إسبانيا، بينما في رحلة السيد أبو العلا البشري نرى صعود المادية على حساب القيم الإنسانية في مصر. وفي كلتا الروايتين، نجد أن الشخصية الرئيسة تمثل مقاومة للتيار السائد

(١) محمد مسعود. أساطير الدراما: أسرار وكواليس أشهر المسلسلات المصرية. ج ٢. دار نشر ريشة للنشر والتوزيع. تسخة إلكترونية. تطبيق أبجد.

وتسعى لتقديم بديل أخلاقي في مواجهة الواقع المتغير. ولا يقتصر العملان على السرد القصصي فقط، بل يعكسان نقدًا اجتماعيًا هائلًا يكشف عن تناقضات المجتمع والطريقة التي تؤثر بها القيم السائدة على حياة الفرد.

من كل هذا ظهر تأثير السياقات التاريخية والثقافية على بناء دون كيشوت ورحلة السيد أبو العلا البشري وتكوينهما. وبالرغم من اختلاف الفترات الزمنية والبيئات الثقافية التي نشأ فيها العملان، فإنهما يشتركان في موضوعات جوهرية مثل الصراع بين المثالية والواقع، وتقديم شخصيات تحاول مقاومة الظروف الاجتماعية والسياسية التي تحيط بها.

(٢)
الشخصيات الرئيسة محوراً للتحويل الدرامي

الشخصيات الرئيسة هي العمود الفقري لأي عمل أدبي أو درامي، فهي الجسر الذي ينقل الأفكار والرسائل من النص إلى القارئ أو المشاهد. من بين هذه الشخصيات، يقف دون كيشوت والسيد أبو العلا البشري بوصفهما رمزين للمثالية التي تتحدى الواقع. كلاهما يحاول أن يعيد صياغة العالم وفق رؤيته الخاصة، إلا أن لكل منهما طريقته وسياقه الذي يحدد ملامح شخصيته وطبيعة صراعاته.

دون كيشوت، بطل الرواية الشهيرة التي كتبها ميغيل دي ثيربانتس، هو شخصية مثالية حالمة تتسم بغرابة الأطوار والجرأة التي قد تصل إلى حد العبث. إنه فارس يريد أن يعيد إحياء قيم الفروسية التي اندثرت في عالم باتت تحكمه المادية والمنطق البراجماتي. يحمل دون كيشوت في داخله صراعًا داخليًا عميقًا بين إيمانه بالمثل العليا وبين الواقع القاسي الذي يسخر من هذه المثل. مواقفه، التي تبدو للكثيرين كوميدية أو حتى مأساوية، تعكس صراعًا فلسفيًا يتجاوز اللحظة الزمنية التي يعيش فيها. عندما يهاجم الطواحين معتقدًا أنها وحوش عملاقة، فإن هذا التصرف يعكس رؤيته للعالم بوصفها معركة مستمرة بين الخير والشر، حتى وإن كانت الوسائل غير منطقية. في كل لحظة من رحلته، يقدم دون كيشوت نموذجًا لإنسان يرفض التخلي عن أحلامه حتى في مواجهة أكثر الحقائق إيلامًا.

على النقيض، نجد السيد أبو العلا البشري، بطل المسلسل الشهير من تأليف أسامة أنور عكاشة، شخصية أكثر واقعية، لكنها لا تقل مثالية. السيد أبو العلا ليس فارسًا يحارب الأعداء بالسيف، بل مثقفًا مصريًا يحاول مواجهة فساد القيم الأخلاقية والانحدار الاجتماعي الذي يعصف بمجتمعه. يعيش أبو العلا في مرحلة تحولات اقتصادية واجتماعية هائلة، حيث يبدو المجتمع وقد انساق خلف المادية والأنانية، متخليًا عن المبادئ التي يؤمن بها. رغم اتزانه الظاهر، يعاني السيد أبو العلا من

صراع داخلي عميق بين رغبته في إصلاح المجتمع وشعوره بالإحباط من مقاومة هذا المجتمع له. مواقفه تتسم بالتناقض أحياناً، فهو متشدد في تطبيق مثاليته على نفسه وعلى الآخرين، لكنه يدرك في الوقت ذاته مدى صعوبة تغيير الواقع. صراعه مع أسرته ومحيطه الاجتماعي يعكس هذه التوترات، حيث يجد نفسه في مواجهة مباشرة مع قيم جديدة تهدد هويته وقناعاته.

تشترك الشخصيتان في سمة أساسية هي المثالية، لكنها تتجلى بطرق مختلفة. دون كيشوت ينطلق من عالم خيالي، يحاول إسقاطه على واقع لا يفهمه، مما يجعل مواقفه تبدو عبثية ومليئة بالسخرية. أما السيد أبو العلا، فيتحرك في عالم واقعي جدًا، لكنه يرى فيه الخلل بوضوح شديد، مما يجعله أقرب إلى نموذج المثقف الذي يحمل على عاتقه مسئولية الإصلاح، لكنه يصطدم بجدران صلبة من التغيير السلبي. كلاهما يحاول أن يغير العالم، لكن التحديات التي يواجهانها تجعل مثاليتهما سلاحًا ذا حدين، حيث تصبح مصدر قوتهما وضعفهما في آن واحد.

أما الشخصيات المرافقة، فهي جزء لا يتجزأ من رحلة البطلين. في حالة دون كيشوت، نجد سانشو بانزا، الفلاح البسيط الذي يرافق الفارس الحالم. يمثل سانشو صوت الواقعية الممزوج بالولاء، فهو دائمًا ما يعبر عن اعتراضه على جنون دون كيشوت، لكنه لا يتخلى عنه. سانشو يضيف طابعًا فكاهيًا للرحلة، لكنه في الوقت ذاته يحمل رمزًا للتناقض الإنساني، حيث يجد نفسه في بعض الأحيان متأثرًا برؤية دون كيشوت رغم قناعته بعدم منطقيتها. علاقته بدون كيشوت تعكس عمقًا إنسانيًا، حيث يقف الواقعي والحالم جنبًا إلى جنب، في رحلة لا تخلو من الدروس الإنسانية العميقة.

في المقابل، الشخصيات المرافقة للسيد أبو العلا البشري تقدم أبعادًا درامية واجتماعية مختلفة. أفراد أسرته يمثلون القيم المادية والانتهازية التي يحاول أبو العلا مواجهتها. كل شخصية في المسلسل تعكس جانبًا من التحولات الاجتماعية في مصر خلال فترة الثمانينيات، سواء في شكل الطموحات الفردية، أو السعي وراء

المال، أو التنازل عن القيم. هذه الشخصيات ليست مجرد أدوات درامية، بل هي تمثيل حي للمجتمع الذي يسعى السيد أبو العلا لإصلاحه. لكنها، على عكس سانشو بانزا، لا تحمل –في الأغلب– ولاءً لأبو العلا، بل تعارضه في كثير من الأحيان، مما يزيد من عزلته ومن حدة الصراعات التي يعيشها.

في النهاية، يقدم دون كيشوت والسيد أبو العلا نموذجين مختلفين للمثالية الإنسانية. الأول يختار أن يعيش في عالم خيالي يواجه فيه وحوشاً متخيلة تعبر عن شرور العالم، بينما الثاني ينغمس في واقع ملموس، يتحدى فيه القيم المادية بكل ما أوتي من قوة. ورغم اختلاف السياقات والمعالجات الفنية، فإنهما يظلان رمزًا خالدًا للصراع بين الحلم والواقع، بين القيم المثالية وقسوة العالم. هذا الصراع هو ما يجعل من رحلتيهما ليس فقط مغامرتين شخصيتين، بل درسين إنسانيين يترددان في كل زمان ومكان.

(٣)

الرحلة: عنصر درامي مشترك!

وفي إطار دراسة آليات التحويل، تبرز الرحلة بوصفها عنصرًا دراميًا مشتركًا بين العملين، يكشف عن تطور الشخصيات وتغيير مسار السرد.. إن الرحلة، في الأدب والدراما، هي عنصر محوري يتجاوز مجرد التنقل المكاني أو الزمني، لتكون تجسيدًا للصراع الداخلي للبطل ومعركته مع ذاته ومع العالم المحيط به. في العديد من الأعمال الأدبية الكبرى، تمثل الرحلة دافعًا أساسيًا لتطور الشخصيات، وهي أداة للكشف عن التوترات النفسية والفكرية التي تدور في ذهن البطل، ما يجعلها وسيلة لفهم أعماق الشخصية وسعيها لتحقيق هدف أكبر. في هذا السياق، تعد رواية "دون كيشوت" لميغيل دي ثيربانتس وعمل "رحلة السيد أبو العلا البشري" لأسامة أنور عكاشة من أبرز الأعمال التي استخدمت الرحلة بوصفها أداة سردية أساسية، حيث تعكس كل منهما تطورًا فكريًا ونفسيًا مميزًا للبطل، بينما تتباين الأساليب والسياقات بين العملين بشكل يعكس اختلاف المنظورات الثقافية والفكرية.

في "دون كيشوت"، تتخذ الرحلة طابعًا مزدوجًا: من جهة، هي رحلة مكانية تتمثل في تنقلات البطل عبر الأقاليم الإسبانية، بحثًا عن مغامرات يُثبت من خلالها بطولته ويحقق حلمه في إحياء عصر الفروسية المجيد. ومن جهة أخرى، هي رحلة فلسفية تتخطى الأبعاد المكانية لتطرح تساؤلات عميقة حول الهوية والمثالية. تُظهر الرحلة في هذا السياق التناقض بين حلم البطل وعالم الواقع الذي يعيشه. على سبيل المثال، معركة دون كيشوت مع الطواحين التي يعتقد أنها وحوش عملاقة، هي رمز للصراع بين المثالية والواقع الذي لا يُمكن تجسيده. ورغم السخرية التي تكتنف الكثير من أحداث الرواية، فإن الرحلة تُبرز التزام دون كيشوت بمثاليته ورؤيته للعالم، ما يجعلها تجسد مسارًا فكريًا متناميًا يتعلق بفهم الذات والمعنى في عالم يتسم بالتحديات والضغوط.

أما في "رحلة السيد أبو العلا البشري"، فإن الرحلة تأخذ منحى مختلفًا، إذ تركز بشكل رئيس على الصراع الداخلي للبطل والرحلة النفسية والفكرية التي يخوضها في سبيل تغيير المجتمع. إنها رحلة تُظهر بشكل مكثف الصراع بين المثل العليا التي يحملها أبو العلا، وهي متمثلة في القيم الأخلاقية والاجتماعية التي يسعى لإصلاحها، وبين واقع مليء بالمادية والأنانية. يتسم هذا النوع من الرحلة بتحديات نفسية وفكرية متواصلة، حيث يحاول أبو العلا، من خلال محاولاته تغيير مواقف عائلته والمجتمع، أن يحقق إصلاحًا تدريجيًا وواقعيًا. إن هذه الرحلة الفكرية تمثل تساؤلات حول كيفية التعامل مع القيم والمبادئ في عالم مشوه بالتحولات الاجتماعية والسياسية.

يتشابه العملان في أنهما يقدمان فكرة أن الشخصيات المساعدة، مثل سانشو بانزا في "دون كيشوت" وأفراد أسرة أبو العلا في "رحلة السيد أبو العلا البشري"، تلعب دورًا مهمًا في تكوين شخصية البطل وتطورها، فسانشو يمثل الواقعية المادية التي تناقض رؤية دون كيشوت المثالية، ما يضيف أبعادًا إضافية للصراع الداخلي الذي يعيشه البطل. على الجانب الآخر، الشخصيات المحيطة بأبو العلا تُسهم في إبراز معوقات فكره ومخططاته الإصلاحية، مما يخلق صراعًا داخليًا يُسهم في تطور شخصيته واكتشافه حدود قدراته وواقعية أهدافه.

تختلف الرحلتان في تركيزهما على المكان والهدف النهائي. في "دون كيشوت"، يبدو أن الرحلة المكانية تأخذ طابعًا رمزيًا يتجاوز جغرافيا الأقاليم الإسبانية لتصبح رمزًا لكل مرحلة من مراحل تطور فكر البطل وصراعه مع مثاليته. بينما في "رحلة السيد أبو العلا البشري"، تتركز الرحلة بشكل أكبر على القيم الاجتماعية والنفسية، مع تأكيد على الصراع الداخلي بين ما يؤمن به البطل وما يعايشه في الواقع من تحديات مجتمعية. هذا التفاوت في التركيز على المكان والهدف يعكس الاختلافات الجذرية بين العملين في كل ما يتعلق بنظرة كل بطل إلى العالم.

كذلك، تُظهر الرحلتان تطورًا في الشخصيات. ففي "دون كيشوت"، الرحلة تكشف عن تمسك البطل بمثاليته، رغم إدراكه المتزايد للفجوة بين أحلامه والواقع، بينما في "رحلة السيد أبو العلا البشري"، يحقق البطل تطورًا في فهمه مجتمعه ويدرك تدريجيًا حدود قدرته على التغيير. على الرغم من أن التحديات التي يواجهها أبو العلا هي أكثر اجتماعية وواقعية، فإن تطور شخصيته يكشف عن مدى إيمانه العميق بفكرة الإصلاح التي يسعى إليها، حتى لو كانت هذه المحاولة تتم في إطار محدود.

بالمجمل، فإن الرحلة في كلا العملين تمثل صراعًا مستمرًا بين المثالية والواقع، وهي وسيلة لتمحيص الذات والواقع المحيط، بما يسهم في تطور البطل على المستوى الشخصي والفكري. تُقدم الرحلتان مثالين غنيين على كيفية استخدام الأدب والدراما للرحلة بوصفها أداة سردية ليست فقط لتمرير الأحداث، بل لتعميق الفهم الشخصي للذات والعالم من حولنا، وتُعكس بذلك أهمية هذا العنصر في تشكيل الأعمال الأدبية والدرامية التي تعتمد على النمو الشخصي للبطل بوصفه دافعًا رئيسًا للتطور السردي.

(٤)

التحويل من دون كيشوت إلى رحلة السيد أبو العلا البشري من الرواية إلى الدراما التليفزيونية

تحويل الأعمال الأدبية إلى دراما تليفزيونية يعد بمثابة عملية معقدة تتطلب مجموعة من التعديلات الإبداعية التي تشمل تكييف النصوص الأدبية لتتناسب مع اللغة البصرية والأسلوب السردي الذي يعتمد على التفاعل مع الجمهور عبر الشاشة. حيث تتطلب الدراما التليفزيونية أن يتم إعادة تشكيل الأحداث والشخصيات لتتناسب مع شكل سردي جديد يعتمد على الصور، والصوت، والحركة. هذه العملية لا تقتصر على إعادة سرد القصة كما هي، بل تستلزم تحويل الفكرة الأساسية التي كان النص الأدبي يعبر عنها بطريقة تتناسب مع التحديات والفرص التي توفرها الدراما التليفزيونية.

وفي هذا السياق، يمكن النظر إلى تحويل رواية "دون كيشوت" الشهيرة إلى مسلسل "رحلة السيد أبو العلا البشري" بوصفها مثالا نموذجيًا لهذه العملية، حيث تم إدخال مجموعة من التعديلات على الشخصيات والحبكة والسياق الاجتماعي لتلائم البيئة الثقافية والاجتماعية المصرية في الثمانينيات، بينما تم الحفاظ في الوقت ذاته على جوهر الفكرة الإنسانية الأصلية التي تدور حول سعي البطل وراء المثالية في عالم مليء بالتحديات والمصاعب.

الرواية الأصلية لـ"دون كيشوت" تدور حول شخصية رجل يعتقد أن زمانه هو عصر الفرسان، ويسعى لتحقيق العدالة والشرف في عالم بعيد تمامًا عن تلك المثالية التي يحملها. هذا المفهوم كان ملائمًا لزمان الرواية الأصلية ومكانها في إسبانيا في القرن السابع عشر، لكنه في مسلسل "رحلة السيد أبو العلا البشري" تم تكييفه بشكل مبدع ليصبح قصة تتناول الصراع من أجل الإصلاح الاجتماعي في المجتمع المصري في الثمانينيات. هنا، تم تحويل "عصر الفرسان" إلى "معركة اجتماعية" جديدة من نوعها، حيث تحول البطل من سعيه وراء العدالة والشرف في عالم لا يعترف بهذه القيم إلى سعيه للإصلاح في مجتمع يتسم بالتحديات الاجتماعية

والسياسية المعقدة. هذا التحويل أضاف بُعدًا معاصرًا للأفكار التي طرحتها "دون كيشوت"، مع الاحتفاظ بجوهر الفكرة حول البطل المثالي الذي يطمح إلى إصلاح الواقع رغم قسوته وتعقيداته.

على صعيد الشخصيات، يتم تحويل شخصية دون كيشوت إلى السيد أبو العلا البشري الذي يسعى إلى تحقيق الإصلاح الاجتماعي في عالم مليء بالصراعات. في "دون كيشوت"، تتمحور شخصية البطل حول الفانتازيا والهوس بالمثل العليا في عالم لا يعترف بها. في المقابل، يتم تكييف شخصية السيد أبو العلا لتصبح أكثر واقعية، حيث يسعى للتغيير الاجتماعي ضمن إطار اجتماعي سياسي حقيقي.

يُعد السيد أبو العلا البشري النسخة الحديثة للمثل العليا التي كان يحملها دون كيشوت، لكن مع تغيير سياق الشخصية لتتناسب مع قضايا مجتمع أكثر تعقيدًا. فالرؤية المثالية التي يتسم بها البطل لا تزال قائمة، لكنها تتداخل مع معركة مستمرة ضد النظام الاجتماعي والسياسي الذي يراه فاسدًا ويجب إصلاحه.

وفيما يتعلق بالشخصيات المساعدة، حيث يظهر في "دون كيشوت" شخصية سانشو بانزا التي تمثل الواقعية وتكون بمثابة الصوت المعارض للمثالية التي يمثلها دون كيشوت، نجد أن "رحلة السيد أبو العلا البشري" استبدلت بسانشو عددًا من الشخصيات التي تقوم بدور مشابه، مثل أفراد عائلة السيد أبو العلا وأصدقائه الذين يمثلون طبقات اجتماعية مختلفة، حيث يعارضون أفكار البطل، ويقف العديد منهم ضد طموحاته في الإصلاح. من خلال هذه الشخصيات، يُسلط الضوء على التوتر بين المثالية التي يسعى إليها البطل والواقع الاجتماعي الذي يعيشه.

أما على مستوى الحبكة، فإن التعديلات التي أدخلت على الأحداث جاءت لتعكس التحولات التي يشهدها المجتمع المصري في الثمانينيات، حيث تم تحويل الأحداث التي كانت تدور في إطار مغامرات خيالية ومؤامرات درامية إلى صراعات اجتماعية وسياسية حقيقية. في "دون كيشوت"، نجد أن الأحداث تدور حول مغامرات خيالية، مثل معركة البطل مع الطواحين الهوائية، حيث يمثل هذا الصراع الخيالي تحديًا للبطل الذي يظن أنه في عصر الفرسان. في مسلسل "رحلة

السيد أبو العلا البشري"، انتقل الصراع إلى مواجهة حقيقية مع قوى اجتماعية وسياسية فاسدة، حيث يحاول البطل محاربة الفساد والاستبداد وتحقيق العدالة الاجتماعية. لم تعد "الطواحين الهوائية" هي العدو الذي يقاتله البطل، بل تحولت إلى معركة حقيقية مع النظام الاجتماعي الذي يقاوم التغيير. هذا التغيير في الحبكة يعكس بوضوح التحديات الاجتماعية التي كان يواجهها المجتمع المصري في تلك الفترة، ويمنح الشخصية الرئيسة بُعدًا اجتماعيًا حقيقيًا.

على مستوى الأساليب السردية، لا بد من التأكيد على أن عملية التحويل من الأدب إلى الدراما التليفزيونية تتطلب استخدام أساليب سردية تختلف عن تلك التي تظهر في الرواية الأدبية. في "دون كيشوت"، يعتمد السرد على الوصف الدقيق والتفاصيل النفسية لحالة البطل، مما يمنحنا فهمًا عميقًا للأفكار والمشاعر الداخلية التي يمر بها. في المقابل، في الدراما التليفزيونية، يجب تحويل هذه المشاعر إلى مشاهد درامية حية على الشاشة. يُستخدم في "رحلة السيد أبو العلا البشري" أسلوب السرد عبر الفلاش باك، والحوار الداخلي، والمشاهد التي تركز على الصراع الداخلي للبطل، ليتمكن الجمهور من فهم حالته النفسية ومشاعره المثالية بشكل مرئي وملموس. علاوة على ذلك، في "دون كيشوت"، تتسلسل الأحداث بشكل متتابع من مغامرة إلى أخرى، في حين في المسلسل يتم استخدام الانتقالات الزمنية لتسليط الضوء على تطور شخصية السيد أبو العلا، مع التركيز على حوار داخلي يعكس معاناته في مواجهة واقع معقد.

وتلعب الأغنيات في المسلسل دورًا بالغ الأهمية، فلا شك أن كلمات عبد الرحمن الأبنودي وألحان عمار الشريعي قد لعبت دورًا كبيرًا في إيصال المعاني كلها للمتلقي منذ "تتر" البداية، وحتى "تتر" النهاية، حيث لم تكن الأغنية مجرد إضافة تجميلية أو خلفية موسيقية، بل كانت جزءًا أصيلًا من البنية السردية للمسلسل.

لقد أسهمت الكلمات في التعبير عن الحالة النفسية للبطل، وعكست صراعاته الداخلية وتطلعاته الإصلاحية، بينما جاءت الألحان في تناغم دقيق مع الجو العام

للمسلسل، بين الحنين والتمرد، وبين التأمل والحسم. كما أن حضور الأغنية في اللحظات المفصلية من الحلقات كان بمثابة تعليق شعري على الأحداث، يمنحها بعدًا وجدانيًا وإنسانيًا يلامس وجدان المشاهد ويعمّق من تفاعله مع العمل.

لقد أصبحت الأغنية هنا صوتًا آخر للبطل، يعبّر عن أفكاره حين يصمت، ويترجم مشاعره حين يعجز عن الكلام، وهذا ما منح "رحلة السيد أبو العلا البشري" طابعًا خاصًا ومتفردًا، يعكس التكامل بين الكلمة والصورة والموسيقى في بناء درامي متماسك.

في النهاية، لا يمكن إنكار أن عملية تحويل "دون كيشوت" إلى "رحلة السيد أبو العلا البشري" هي عملية معقدة، لكنها تسلط الضوء على قدرة الأدب الكلاسيكي على التحول والتكيف مع السياقات الاجتماعية والثقافية المختلفة. من خلال إعادة تقديم قصة "دون كيشوت" في شكل درامي معاصر، تمكّن المسلسل من الحفاظ على جوهر الفكرة الأصلية، في حين أضاف إليها أبعادًا اجتماعية وثقافية جديدة جعلتها أكثر قربًا من الواقع المعاصر. هذا التحويل يعكس قدرة الأدب على البقاء حيًا، حتى بعد مرور قرون على كتابته، في ظل تطورات الحياة الاجتماعية والسياسية التي تتغير مع مرور الزمن.. ولا شك أن نجاح أسامة أنور عكاشة في تحويل هذا العمل إلى نص درامي تليفزيوني، يعد خطوة على طريق تحقيق هدفه، ومشروعه.. "كان المشروع هو تأسيس ما يمكن تسميته بأدب الدراما التليفزيونية.. ومع الوعي بمدى انتشار الأمية لدينا فلم لا يشارك من لا يقرأ ولا يكتب في الاطلاع على الأعمال الأدبية من خلال المشاهدة؟ ومن هنا كان الحرص الشديد على اختيار الجملة التليفزيونية، بحيث تكون جملة راقية دون تعقيد تصل في رقيها أو تقترب من اللغة الشعرية، وهذا ما حرصت عليه طوال رحلتي مع الكتابة التليفزيونية"[١].

---

(١) حوار صحفي أجراه أحمد هاشم مع الكاتب أسامة أنور عكاشة ونشر بمجلة الفن المعاصر – أكاديمية الفنون تحت عنوان "أسامة أنور عكاشة حول الأدب الدرامي وقضايا الواقع"، وهو منشور على موقع أكاديمية الفنون على موقع الإنترنت
www.egyptartsacademy.kenanaonline.com

(٥)

التأثير الثقافي والاجتماعي للتحويل بين "دون كيشوت" و"رحلة السيد أبو العلا البشري"

وبعد استعراض آليات التحويل الفني، ننتقل إلى أثر هذه العملية على البنية الثقافية والاجتماعية للنص الجديد.. إن عملية تحويل "دون كيشوت" إلى "رحلة السيد أبو العلا البشري" لا تقتصر فقط على تعديل السرد والشخصيات والأحداث، بل تتجاوز ذلك لتشمل التأثير الثقافي والاجتماعي الذي ينشأ عن تكييف العمل الأدبي الأصلي ليتناسب مع الجمهور المعاصر والمحيط الثقافي الذي يتم فيه عرضه. وهنا نناقش التأثيرات الثقافية والاجتماعية لهذا التحويل، وكيف يُسهم المسلسل في نقل المفاهيم والرسائل الأدبية من خلال قالب درامي تليفزيوني.

أولًا: التأثير الثقافي على الجمهور:

●الترجمة الثقافية للأفكار العالمية: "دون كيشوت" هي رواية عالمية تمثل صراعًا إنسانيًا ضد السلطة والظلم، وهي تناقش مفاهيم العدالة والمثالية عبر شخصية بطل غير قادر على التكيف مع عالمه. في "رحلة السيد أبو العلا البشري"، يتم تكييف هذه المفاهيم لتتناسب مع السياق المصري في مرحلة من التحولات السياسية والاجتماعية، حيث يُحاول السيد أبو العلا تمثيل الشخصية المثالية التي تسعى للإصلاح في مجتمع يعاني من الاضطرابات. يتم تحريف الرمزية في "دون كيشوت" وتكييفها لتصبح قضايا اجتماعية تتعلق بالواقع المصري مثل الفساد، والاستبداد، والتفاوت الطبقي، مما يتيح للجمهور المصري –وخصوصًا في الثمانينيات– التعرف على معاناة البطل ومواجهته مع قضايا مجتمعية مشابهة لتلك التي يعاني منها. هذا التكيف الثقافي يعكس قدرة الأدب العالمي على التأثير في الثقافة المحلية، وتوفير طرق جديدة للتفاعل مع قضايا مجتمعية معاصرة من خلال قوالب سردية معروفة في الثقافة العربية.

●تحفيز النقاش الاجتماعي: كان لـ"رحلة السيد أبو العلا البشري" دور كبير في إثارة النقاشات الاجتماعية والسياسية في المجتمع المصري، حيث طرح المسلسل قضايا تتعلق بالإصلاح الاجتماعي والتغيير. يعكس المسلسل بشكل غير مباشر حالة الوعي الاجتماعي والسياسي في فترة معينة، حيث يتحدى البطل الوضع القائم، ويبحث عن حلول لمشكلات يعاني منها المجتمع المصري. من خلال تحويل "دون كيشوت" إلى "رحلة السيد أبو العلا البشري"، يتم التفاعل مع مشاهدين من خلفيات ثقافية متنوعة في مصر، مما يجعل العمل فرصة لإثارة النقاش حول دور الفرد في التغيير الاجتماعي، وهل يمكن للفرد المثالي أن يغير مجتمعه أم أنه سيظل محاصرًا بأحلامه المثالية التي لا تتحقق؟

ثانياً: التأثير الاجتماعي على البنية الدرامية:

●إعادة تشكيل البطل في السياق الاجتماعي: في "دون كيشوت"، يعد البطل شخصية فانتازية تعيش في عالم موازٍ يتصارع مع الطواحين الهوائية. بينما في "رحلة السيد أبو العلا البشري"، البطل هو رجل يسعى لتحقيق إصلاحات اجتماعية في مصر الواقعية، ما يغير من طبيعة دور البطل في الدراما التليفزيونية. هذا التحويل يعكس التحولات الاجتماعية التي شهدها المجتمع المصري في الثمانينيات، حيث كان هناك مسعى للتغيير وإعادة النظر في القيم التقليدية، وهذا يتجسد في شخصية السيد أبو العلا، الذي يمثل بطلًا اجتماعيًا يسعى لتحسين واقع مجتمعه من خلال أعماله المثالية التي تصطدم بالحواجز الاجتماعية والسياسية.

●استجابة الجمهور للدراما التليفزيونية بوصفها مرآة للواقع الاجتماعي: كان "رحلة السيد أبو العلا البشري" بمثابة مرآة تعكس الواقع الاجتماعي في تلك الفترة، ويُعد المسلسل وسيلة لفهم التوترات الاجتماعية والنفسية التي كانت تمر بها فئات معينة من الشعب المصري. لا تقتصر تأثيرات المسلسل على الفئة المثقفة، بل كان له تأثير على الجمهور العريض، الذي وجد في شخصية السيد أبو العلا تجسيدًا لشخصيات موجودة في الواقع الاجتماعي المصري، سواء على مستوى الأسرة أو

المجتمع الأوسع. كان المسلسل وسيلة للتفاعل مع الإشكاليات الاجتماعية ومناقشة قضايا مثل العدالة والفساد، وإعادة التفكير في دور الفرد في المجتمع.

ثالثاً: التفاعل بين المثالية والواقع في المجتمع المصري:

- الصراع بين المثالية والواقع في المسلسل: في "دون كيشوت"، يتجسد الصراع بين المثالية والواقع من خلال شخصية دون كيشوت التي لا ترى الواقع كما هو، بل تراه من خلال عدسة أفكاره المثالية. بينما في "رحلة السيد أبو العلا البشري"، يتم تأصيل هذا الصراع في إطار أكثر اجتماعية، حيث يظهر السيد أبو العلا البشري شخصية تحاول أن تظل مثالية في عالم يعج بالمشكلات الاجتماعية والسياسية. ويتم تسليط الضوء على التوتر بين الطموحات الإصلاحية والشروخ الاجتماعية التي تحيط به، ما يعكس التحديات التي يواجهها الأفراد المثاليون في المجتمع المصري في مواجهة الانقسامات الطبقية والنظام السياسي القائم.
- الحوار بين الفئات الاجتماعية المختلفة: من خلال المسلسل، يحدث نوع من الحوار بين الفئات الاجتماعية المختلفة في المجتمع المصري. فالسيد أبو العلا، الذي ينتمي إلى فئة مثقفة تسعى للتغيير، يواجه معارضة من الفئات الأخرى التي ترى في مثاليته تهديدًا للوضع القائم. هذا الصراع يعكس الفجوة بين الطبقات الاجتماعية وتفاوت الفرص في المجتمع، حيث يظهر بشكل جلي التحديات التي يواجهها الإصلاحيون في محاولة التغيير في واقع لا يعترف دائمًا بمثاليته. وعلى الرغم من أن هذه التحولات تُعرض في إطار درامي، فإن "رحلة السيد أبو العلا البشري" تستمر في نقل رسائل اجتماعية تتعلق بالمسئولية الفردية وضرورة التغيير، مما يثير في الجمهور أسئلة حول دورهم في المجتمع وواجباتهم تجاه الإصلاح.

رابعاً: التأثير على الوعي الثقافي العربي:

●دور الدراما التليفزيونية في نقل الرسائل الأدبية: من خلال تحويل "دون كيشوت" إلى "رحلة السيد أبو العلا البشري"، ينجح المسلسل في نقل الرسائل الأدبية التي كانت في الأصل جزءًا من أدب عالمي إلى سياق ثقافي عربي. يظهر المسلسل كيف يمكن للدراما التليفزيونية أن تُسهم في فهم أعمق للقضايا الإنسانية والاجتماعية، وتنقلها بشكل يتناسب مع أفق الجمهور العربي. ويُسهم المسلسل في الحفاظ على الروح الأدبية للرواية الأصلية، مع إدخال تعديلات تتناسب مع التقاليد الثقافية العربية، مما يتيح للجمهور العربي الوصول إلى مفاهيم ومبادئ عالمية مثل السعي وراء العدالة، والتغيير الاجتماعي، والمثالية.

●الارتباط بين الدراما والأدب في الثقافة العربية: التحويل الناجح لرواية "دون كيشوت" إلى المسلسل المصري يعكس العلاقة المتشابكة بين الأدب والدراما التليفزيونية. هذا التحويل يُسهم في تعزيز مكانة الأدب، ويُظهر كيفية استخدام الدراما في إعادة تقديم النصوص الأدبية بطريقة تتيح للجمهور فهمًا أعمق لهذه الأعمال. ومن خلال تقديم شخصية السيد أبو العلا في المسلسل، يمكن أن يتحقق للجمهور العربي إدراك جديد للطرق التي يتم فيها تجسيد الشخصيات الأدبية في الواقع الاجتماعي، وهو ما يعزز من تأثير الأدب في الثقافة الشعبية.

الخلاصة أن تحويل "دون كيشوت" إلى "رحلة السيد أبو العلا البشري" لم يكن مجرد عملية تحويل نصية، بل كان تحولًا ثقافيًا واجتماعيًا مهمًا، إذ أسهم في إعادة تقديم الأفكار العالمية حول المثالية والصراع مع الواقع في قالب يتماشى مع التحديات الاجتماعية والسياسية في مصر. المسلسل كان له تأثير كبير على الوعي الثقافي والجماعي في المجتمع العربي، حيث قدم رسالة قوية عن الإصلاح الاجتماعي والفرد المثالي الذي يسعى لتغيير مجتمعه. من كل هذا نستطيع أن نقول إن "رحلة السيد أبو العلا البشري" كان بمثابة خرجة ثالثة للفارس "دون كيشوت".. خرجة مختلفة ومغايرة لكنها تظل تسير في طريق الفارس الحالم الساعي إلى التغيير.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يمكننا أن نخلص إلى أن التحويل الدرامي لرواية دون كيشوت إلى مسلسل رحلة السيد أبو العلا البشري قد أسهم بشكل كبير في إعادة تشكيل العديد من المفاهيم الاجتماعية والثقافية التي طرحتها الرواية الأصلية وتقديمها، مما جعلها أكثر قربًا وفهمًا للجمهور العربي، خصوصًا في السياق المصري. هذا التحويل لم يكن مجرد تقليد للحبكة أو محاكاة للشخصيات، بل كان عملية إبداعية تتطلب تكييفًا ثقافيًا واجتماعيًا يعكس تحديات الواقع المصري في الثمانينيات. وبذلك، اكتسب العمل الدرامي طابعًا محليًا تميز بالعديد من الملامح التي ترتبط مباشرة بالواقع المصري، مما جعل المسلسل ليس مجرد اقتباس أدبي، بل تجسيدًا لحالة اجتماعية وثقافية فريدة.

ونستطيع من كل هذا أن نخلص إلى عدد من النتائج، منها:

-من خلال تحويل بطل دون كيشوت إلى شخصية السيد أبو العلا البشري، تم تكييف مفهوم البطل المثالي الذي لا يتناسب مع الواقع ليصبح بطلًا يعكس قضايا اجتماعية وسياسية أكثر ارتباطًا بالواقع المصري في الثمانينيات. السيد أبو العلا يمثل شخصية تسعى للإصلاح في ظل مجتمع يعاني من العديد من التحديات، وهو ما يبرز الفارق الكبير بين المثالية والواقع. قد تكون هذه التحولات الشخصية قد جعلت البطل أكثر مصداقية لدى الجمهور، حيث وجدوا فيه شخصًا يمكن أن يتصلوا به ويتفهموا أزماته.

-لم تقتصر رحلة السيد أبو العلا البشري على ترفيه المشاهدين، بل تخطت ذلك لتؤثر بشكل فعال في النقاشات الاجتماعية والسياسية. المسلسل طرح قضايا مثل العدالة، والفساد، والفروق الطبقية، وهي قضايا تظل ذات صلة في السياقات الاجتماعية المختلفة. يعكس العمل الدرامي التفاعل مع التحولات الاجتماعية في المجتمع المصري، مما يوفر للجمهور أداة لفهم تحديات المجتمع والتفاعل مع رؤى

الإصلاح. في هذا السياق، يمكن اعتبار المسلسل بمثابة أداة لفتح النقاش حول قضايا المجتمعات العربية المعاصرة.

-من خلال السرد الدرامي، يعرض المسلسل صراعًا عميقًا بين المثالية والواقع، وهو ما يمثل تحديًا مستمرًا للبطل الذي لا يزال يؤمن بأهمية التغيير والإصلاح في حين يواجهه الواقع المليء بالعقبات الاجتماعية والسياسية. هذا التفاعل بين المثالية والواقع يشكل عماد الحوار الاجتماعي الذي يعكسه المسلسل. من خلال تعقيد هذا الصراع، يتمكن العمل من نقل رسالة مفادها أن السعي وراء الإصلاح ليس سهلًا ولا يتم في ظروف مثالية، بل هو محكوم بالقيود الاجتماعية والسياسية.

-"رحلة السيد أبو العلا البشري" يعكس قدرة الدراما التليفزيونية على نقل الأفكار الأدبية العميقة إلى الثقافة الشعبية. من خلال التكييف الثقافي السليم، يمكن للأعمال الأدبية العالمية أن تصبح جزءًا من التراث الثقافي المحلي، مما يعزز فهم الجمهور للقضايا الإنسانية والعدالة الاجتماعية. المسلسل نجح في تبسيط الأفكار الكبرى التي طرحتها "دون كيشوت" وجعلها ذات صلة بالجمهور العربي وملائمة له، ليصبح بذلك أداة فعالة في نشر مفهوم التغيير الاجتماعي، وفي تعزيز دور الدراما بوصفها نوعًا أدبيًا ذا تأثير اجتماعي وثقافي واسع.

-التفاعل بين الأدب والدراما في الثقافة العربية: التحويل الناجح من رواية أدبية عالمية إلى عمل درامي تليفزيوني يعكس العلاقة المتشابكة بين الأدب والدراما التليفزيونية. يُظهر هذا التحويل كيف يمكن للدراما أن تُعيد تقديم الأفكار الأدبية بأسلوب درامي يجعلها أكثر تأثيرًا وفهمًا للجمهور المعاصر. وبذلك، يمكن أن يُسهم هذا النوع من التحويلات الأدبية–الدرامية في تعزيز مكانة الأدب، وفي فتح الأفق لفهم أعمق لمفاهيم وأفكار أدبية عالمية.

وتعد هذه الدراسة بمثابة دعوة لاستمرار البحث في العلاقة بين الأدب والدراما، وتأكيد أهمية تقديم أعمال فنية تجمع بين النصوص الأدبية العالمية والسياقات الثقافية المحلية. الدراما التليفزيونية تظل وسيلة فعالة في تسليط الضوء على القضايا الاجتماعية وتوسيع أفق الجمهور حول مفاهيم التغيير المثالي، وتحديات الواقع، وكيفية التفاعل معهما بشكل عملي. من خلال هذه الأعمال، يمكن أن تنفتح آفاق جديدة للفهم المجتمعي وتدعم النقاشات حول الإصلاح الاجتماعي، فضلًا عن دور الفرد في إحداث التغيير.

ولا شك أن "رحلة السيد أبو العلا البشري" تظل نموذجًا بارزًا في كيفية تحويل الأدب الكلاسيكي إلى دراما تليفزيونية قادرة على التأثير في المجتمع، مما يفتح المجال لمزيد من الأبحاث حول هذا النوع من التحويلات الأدبية–الدرامية، سواء على مستوى الأدب العربي أو على مستوى التواصل بين الثقافات.

المصادر:

-ميجيل دي ثربانتس. الشريف العبقري دون كيخوتي دي لامانشا الشهير بين العرب باسم "دون كيشوت". ترجمة: سليمان العطار. المركز القومي للترجمة. ط ٢. ٢٠١٤م.

-أسامة أنور عكاشة. مسلسل رحلة السيد أبو العلا البشري. وأبو العلا ٩٠. (حلقات المسلسل بجزأيه متاحة على يوتيوب). إخراج: محمد فاضل. الجزء الأول إنتاج ١٩٨٦. الجزء الثاني إنتاج ١٩٩٦.

المراجع:

-علي القيم. مقال: دون كيشوت ما زال يعيش بيننا. مجلة المعرفة. عدد ١ مايو ٢٠٠٥.

-ليستر كروكر. مقال: دون كيشوت: سرفانتس. ترجمة: يوسف عبد المسيح ثروة. مجلة الأديب. عدد ١ مارس ١٩٦٣.

-مالك قصور. مقال: بحثًا عن الحرية (دون كيشوت أنموذجًا). مجلة الموقف الأدبي. عدد ١ إبريل ٢٠١٢.

-محمد مسعود. أساطير الدراما: أسرار وكواليس أشهر المسلسلات المصرية. ج ٢. دار نشر ريشة للنشر والتوزيع. تسخة إلكترونية. تطبيق أبجد.

-نبيل سليمان. مقال: "تجليات حضور شخصيته في نصوص متعددة.. دون كيشوت في الرواية العربية". مجلة الشارقة الثقافية. عدد ١ يونيو ٢٠١٨.

-والتر راليه. مقال: دون كيشوت. ترجمة: يوسف عبد المسيح ثروة. مجلة الأديب. عدد ١ يناير ١٩٥٧.

حوارات منشورة:

-حوار صحفي أجراه أحمد هاشم مع الكاتب أسامة أنور عكاشة ونشر بمجلة الفن المعاصر – أكاديمية الفنون تحت عنوان "أسامة أنور عكاشة حول الأدب الدرامي وقضايا الواقع"، وهو منشور على موقع أكاديمية الفنون على موقع الإنترنت: www.egyptartsacademy.kenanaonline.com

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٧٦
٢-	Abstract	٧٧
٣-	المقدمة	٧٨
٤-	(١) السياق العام للعملين	٨٠
٥-	(٢) الشخصيات الرئيسة محوراً للتحويل الدرامي	٨٦
٦-	(٣) الرحلة: عنصر درامي مشترك!	٨٩
٧-	(٤) التحويل من دون كيشوت إلى رحلة السيد أبو العلا البشري من الرواية إلى الدراما التليفزيونية	٩٢
٨-	(٥) التأثير الثقافي والاجتماعي للتحويل بين "دون كيشوت" و"رحلة السيد أبو العلا البشري"	٩٦
٩-	الخاتمة	١٠٢
١٠-	المصادر:	١٠٣
١١-	فهرس الموضوعات	١٠٤

تم بحمد الله